الإعجاز البلاغي للقرآني الكريم

القرآن الكريم كتاب الوجود، يعرفه من عرف نفسه، وعرف الغاية من محياه.قال تعالى:"كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير". لا غرو فالقرآن الكريم قد سحر العرب وهو أرباب البلاغة وفرسان البيان منذ اللحظة الأولى. يستوي في ذلك المؤمونون والكافرون هؤلاء يُسحرون فيؤمنون وهؤلاء يُسحرون فيبهرون. فهذا عمر ابن الخطاب يقول في رواية:"فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام" ويقال عنه في رواية أنه قال:"ما أَحسن هذا الكلام وأكرمه". وهذا الوليد بن المغيرة يقول مرة:"لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يُعلى وما يُعلى عليه" هذا الكلام وما ينطوي عليه من شهادة العدو ألا يوحي بسرعة خاطفة بذكر قول القائل: والفضلُ ما شَهِدت به الأعداء.

منذ فتح العرب أعينهم على هذه الثروة البيانية في القرآن الكريم وهم ينهلون وردها، ووجدوا أن تربية ملكات البيان وتنمية الأذواق لن تكون إلا بورود هذا النبع الصافي يقتبسون منه ويأخذون عنه، وكان لهم ما أرادوا من التوفيق والإصابة حين اطردت البلاغة تنمو في ظل القرآن الكريم.

لهذا تحدى القرآن الكريم العرب بالبلاغة في قوله تعالى:"أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"سورة هود، آية 13. الآية مكية وفيها التحدي بالنظم والبلاغة فإن ذلك هو الشأن الظاهر من شؤون العرب المخاطبين بالآيات يومئذ.

يقول صاحب تفسير (المنار) في بيان المعجزة البلاغية للقرآن:" الوجه الثاني: بلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله وفي عصر تنزيله وفيما بعده، ولم يختلف أحد من أهل البيان في هذا، وإنما أورد بعض المخالفين بعض الشبه على كون بلاغة كل سورة من قصار سوره بلغت حدّ الإعجاز فيه، والقائلون به لا يحصرون إعجاز كل سورة فيه، وتحقق التحدي عندهم بإعجاز بعض السور القصيرة بغيره، :اخبار الغيب في سورة الكوثر التي هي أقصر سورة".